برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة الثامنة

السبت : 14 شهر رمضان 1438هـ الموافق : 2017/6/10م

✤ وصلنا في الحلقات المُتقدّمة للآية 24 من سورة الأعراف، وسنستمرّ إن شاء الله في تناول آيات سُورة الاعراف فيما يأتي من حلقات..

الآيات التي مرّ ذكرها كانت في أجواء قصّة أبينا آدم "عليه السلام".

✤ في هذهِ الحَلقة سأسلّط الضَوء على مَجموعةٍ مِن اللّقطات المُهمَّة وعلى مَجموعةٍ مِن زَوايا الحديث التي لم تأتِ في القُرآن ولكن جاءت في كلمات المعصومين "صلوات الله عليهم"

■ الكتاب الأوّل الذي سأتناول منهُ صُوَراً هو [تفسيرُ الإمام العسكري] "صلواتُ الله عليه".

يقول الإمام العسكري عن إمامنا السجّاد "عليهما السلام" والإمام السجّاد يُحدثنا عن آبائه عن جدّه رسول الله "صلّى الله عليه وآلهِ".. يقول:

(يا عباد الله إنَّ آدم لمَّا رأى النُور ساطعاً مِن صُلْبه، إذ كانَ اللهُ قد نقلَ أشباحنا مِن ذُروة العَرش إلى ظَهْره، رأى النُور ولم يتبين الاشباح. فقال: يا ربّ، ما هذهِ الأنوار؟ قال اللهُ عزَّ وجلّ: أنوارُ أشباحٍ نقلْتُهم مِن أشرف بقاع عَرْشي إلى ظهركَ ولذلكَ أمرتُ الملائكةَ بالسُجودِ لك، إذْ كُنتَ وعاء لتلكَ الاشباح. فقال آدم: يا ربّ لو بيَّنتها لي؟ فقالَ اللهُ عزّ وجلَّ: انظرْ يا آدم إلى ذُروة العَرش.

فنظرَ آدم، ووقعَ نُورُ أشباحنا مِن ظَهْر آدم على ذُروة العَرش، فانطبعَ فيهِ صُور أنوار أشباحنا التي في ظَهره كما ينطبعُ وجه الإنسان في المِرآة الصافية، فرأى أشباحنا.

فقال: يا ربّ ما هذهِ الأشباح؟ قال اللهُ تعالى: يا آدم هذهِ أشباحُ أفضلُ خلائقي وبريّاتي.

هذا مُحمّدٌ وأنا المحمودُ الحميد في أفعالي، شققتُ له اسماً مِن اسْمي. وهذا عليٌّ، وأنا العليُّ العَظيم، شققتُ لهُ اسْماً مِن اسمي.

وهذهِ فاطمة وأنا فاطرُ السماواتِ والأرض، فاطِمُ أعدائي عن رحمتي يومُ فصْل قَضائي، وفاطِم أوليائي عمَّا يُعرّهم ويُسيئهم فشققتُ لها اسْماً مِن اسمي.

وهذان الحَسَنُ والحُسين وأنا المُحسن و المُجْمِلُ شققتُ اسميهما مِن اسمي، هؤلاءِ خيارُ خَليقتي، وكرامُ بريتي، بهم آخذ، وبهم أُعطي، وبهم أُعاقب، وبهم أُثيب، فتوسَّل إليَّ بهم.

يا آدم، وإذا دهتك داهية، فاجعلْهُم إليَّ شُفعاءك، فانّي آليتُ - أي أقسمتُ - على نَفسي قَسَماً حقّاً أن لا أُخيّب بهم آملاً، ولا أرُدَّ بهم سائلاً.

فذلك حين زلَّتْ منه الخَطيئة، دعا الله عزَّ وجلَّ بهم، فتابَ عليه وغفرَ له).

● قول الرواية (إذ كانَ اللهُ قد نقلَ أشباحنا مِن ذُروة العَرش إلى ظَهْره (الله تعالى لم ينقلهم، وإنّما نَقَل أشباحاً لهم.. نَقَلَ نحواً مِن أنحاء تجلّياتهم "صلواتُ الله عليهم".. هم في ذُروة العَرش، وهذا مقامٌ مِن مقاماتهم.. مقامهم الأتم والأكمل هو المَقام الذي استقرّوا فيه عند الله تعالى وما خرجوا مِن ذلك المقام وهو مقامُ (الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي خلقه فاستقرّ في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره). ذلك هو المقام الأعظم الأعظم الأعظم.. ونحنُ لا نملك إلّا أن نعرف أنّ لهم مقاماً هذا عنوانه ووصفه الإجمالي، ولا نعرف شيئاً عن حقيقته، ليس أنّه لا تُوجد معلومات.. وإنّما لأنّ اللّغة غير قادرة أن تستوعب هذه المعلومات، ولأنّ العقول غير مُتمكّنة أن تتصوّر تلكم الحقائق.

ومن ظهوراتهم هو الظهور المُحيط كما في الزيارة الجامعة الكبيرة (وجعلكم بعرشه مُحدقين) الإحداق هنا هو الإحاطة، وهذا ظهورٌ مِن ظهوراتهم (إحاطتهم بعالم العرش) وفي عالم العَرش مَراتب المَوجودات طُرّاً.. ولهم ظُهورٌ أنّهم في ذُروة العَرش وهذا ما يُشير إليه سيّد الأنبياء في الرواية.. وظُهوراتهم لا حصر لها..! (هذه الأشباح نَحو تجلٍّ من تجلّياتهم.. هذهِ صُورةٌ أُخذتْ لِمقامٍ من مقاماتهم في ذُروة العرش).

● السجود في الحقيقةِ ما كانَ لِمُحمّدٍ وآل مُحمّد، السجودُ كانَ لأشباحٍ هي صُورةٌ لمقامٍ من مقاماتهم التي هي ليستْ أعلى المقامات.

هذا هو تفسيرُ إمامنا العسكري الذي يرفضه علمانا ومراجعنا..! هذا التفسير مِن أهمّ ما جاء عن آل مُحمّدٍ في تفسير القرآن.. إذا أردنا أن نعرفَ منهج محمّد وآل محمّد في تفسير القرآن فأوّل خُطوة يَجب علينا أن نتّبعها أن ندرس تفسير الإمام العسكري وأن نستخلص الحقائق التي نستعين بها على تلمُّس منهج آل محمّدٍ في تفسير القرآن..

ولذلك أنا دائماً أعود لتفسير الإمام العسكري.. برغم أنّهُ ما لم يَصل إلينا كاملاً.. وإنّما وصلَ إلينا جُزءٌ يسير منه، وهذا الجُزءُ اليسير أتلفه مراجعنا بفتاواهم وآرائهم التي بنوها على أُسس وقواعد جاؤوا بها من الفكر الناصبي الخالص فذبحوا بها هذا التفسير!

● أبونا آدم كان وعاءً لأشباحٍ هي صورة لمقامٍ من مقاماتهم "صلواتُ الله عليهم" ومع ذلك فإنّ أبونا آدم لم يرى الأشباح.. فقط رأى آثارها.. رأى النُور وهو أثرٌ مِن آثار تلك الأشباح!

● قول أبينا آدم (يا ربّ لو بيَّنتها لي؟) أراد أن ينكشفَ لهُ شيءٌ مِن الأمر أكثر.. علماً أنّ آدم لم يَرى المَقام على العَرش، ولكنّه نظرَ إلى الجِهة في العرش التي تظهرُ فيها كلّ الصُور.

■ مَن يحفظ حديث العقل، حديث المخلوق الأوّل (أوّل ما خلق الله العقل، فقالَ له: أقْبِل فأقبَل ثمَّ قال لهُ: أدبر فأدبر، قال أما أنّي بك أثيب وبِك أُعاقب..). هذه تجلّياتهم.. فكما قُلت: فإنّ تجلّياتهم لا عدّ لها ولا حصر!

● قول الرواية (يا آدم، وإذا دهتك داهية، فاجعلْهُم إليَّ شُفعاءك...) هذا الخِطاب لأبينا، والخِطاب لأبينا هو خِطابٌ لنا. وآدم حين كان يتوسّل بهذهِ الكلمات: (يا مَحمود بحقّ محمَّد، ويا عالي بحَقّ عليّ، ويا فاطرُ بحَقّ فاطمة، ويا مُحْسِن بحقّ الحَسَن، ويا قديمَ الإحسان بحَقّ الحُسين).

لمَّا ذَكَر هذا الإسم (الحُسين) انكسر قلبه ودمعت عيناه، ولذلك قال لجبرئيل: أخي جبرئيل.. ما الذي دهاني حِين ذكرتُ هذا الإسم الخامس؟! فحدّثه جبرئيل بحَديث كربلاء، وكربلاء حاضرة على طُول الخطّ.

✤ لازلت أقتطفُ لكم ثِماراً صَافية نَقيّة من تفسير الإمام العسكري.. (وقفة عند ما يقولهُ الإمام العسكري في قولهِ تعالى: {ولا تَقربا هذه الشجرة}

يقول"عليه السلام": (شجرةُ العِلْم، شَجَرةُ عِلْم مُحمّدٍ وآل مُحمّد الذين آثرَهُم اللهُ تعالى بها دُون سائر خَلْقِه، فقال الله تعالى: {ولا تَقْربا هذهِ الشَجَرة} شجرةُ العِلْم فإنّها لمُحمَّدٍ وآلهِ خاصّةً دُون غيرهم، لا يَتناول منها بأمر الله إلّا هُم، ومنها ما كان يتناوله النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين بعد إطعامهم والمسكين واليتيم حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب ، وهي شجرة تميزت من بين أشجار الجنة ، إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعا من الثمار والمأكول ، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر والعنب والتين والعناب وسائر أنوار الثمار والفواكه والاطعمة ، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم : هي برة ، وقال آخرون : هي عنبة ، وقال آخرون : هي تينة وقال آخرون : هي عنابة ، وقال الله : (ولا تقربا هذه الشجرة) تلتمسان بذلك درجة محمد وآل محمد في فضلهم ، فإن الله عزو جل خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم ، وهي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله الهم علم الاولين والآخرون من غير تعلم ، ومن تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربه (فتكونا من الظالمين) بمعصيتكما والتماسكما درجة قد اوثر بها غيركما إذا رمتما بغير حكم الله ، قال الله تعالى : (فأزلهما الشيطان عنها).

● قول الرواية (الذين آثرَهُم اللهُ تعالى بها دُون سائر خَلْقِه)آثرهم الله تعالى بكلّ شيء دون سائر خَلْقِه، فتجلّياتهم هي مراتبُ ظهورٍ للأسماءِ الحُسنى التي تجلّت وظهرتْ مِن الإسم الأعظم الذي خَلَقَهُ فاستقرّ في ظلّهِ فلا يخرجُ منه إلى غيره.

■ قصّة أبينا آدم قصة لها وجهان:

• وجهٌ في (عالم التكوين) فآدم كوّنه الله وخلقه.

• ووجه لقصّة أبينا آدم هو (الوجه الرمزي الفلسفي العميق).. ومِن رُموز قصّة آدم الشجرة.. إنّها شجرة العلم..

ستأتينا رواية عن إمامنا الرضا، وستتكامل الصورة مع ما جاء مذكوراً هنا.. ولكنّي وقفتُ وقفةً قصيرة كي أُلفتَ نظركم إلى هذا المضمون ليبقى شاخصاً في أذهانكم إلى أن نَصِل إلى ما قاله الإمام الرضا وحينئذٍ تتمازجُ المعاني وتتجلّى الصورة بنحوٍ أوضح.

■ ممّا جاء أيضاً في [تفسير الإمام العسكري] وهو يُحدّثنا عن سيّد الأنبياء، يقول: (ثُمّ قال رسول الله "صلّى اللهُ عليه وآله": عصى اللهَ إبليسُ فهلك، لَمّا كان معصيته بالكِبْر على آدم، وعصى اللهَ آدمَ بأكل الشجرة، فسَلِم ولم يهلك لمّا لم يقارن بمعصيته التكبّر على مُحمّدٍ وآلهِ الطيّبين، وذلكَ أنّ الله تعالى قال له: يا آدم: عصاني فيكَ إبليس، وتكبّر عليكَ فهَلَك، ولو تواضعَ لكَ بأمري، وعَظّم عِزّ جلالي لأفلح كلَّ الفلاح كما أفلحتَ، وأنت عَصيتني بأكل الشجرة، وبالتواضع لمُحمّد وآل محمّد تَفلحُ كلَّ الفلاح، وتزولُ عنك وصْمةُ الذِلّة فادْعُني بمُحمّدٍ وآله الطيّبين لذلك. فدعا بهم، فأفلحَ كلّ الفلاح لمَّا تمسّكَ بعروتنا أهل البيت).

إبليسُ كان خيرَ أهل الأرض في جيله الذي كان في الأرض، ولخَيريّته رفعه الله فجعله في عالم الملائكة، وإبليس كان عابداً من عُبّاد الملأ الأعلى.. كان ركوعه وسجوده يَمتدُّ إلى آلافٍ مِن السنوات.. في بعض الروايات ورد أنّ ركعتان مِن عبادته قضى فيهما أربعة آلاف سنة!

● قول الرواية (عصى اللهَ إبليسُ فهلك، لَمّا كان معصيته بالكِبْر على آدم) في الحقيقةِ إبليس لم يتكبّر على آدم، وإنّما تكبّر على مَضمون آدم، ولذلك قارن بين مَنزلتهِ وبين منزلةِ آدم فقال: {أنا خيرٌ مِنه} والخَيريةُ هذهِ تتناول المضمون، ومَضمون آدم كانَ في الأشباح تلك التي تجلّت فيه.

● قول رسول الله (وعصى اللهَ آدمَ بأكل الشجرة، فسَلِم ولم يهلك) النبي هُنا ناظِرٌ إلى العاقبة، فعاقبة أبينا آدم إلى خَير، وعاقبة إبليس إلى شرّ.

■ هذهِ المَضامين في الأذان والإقامة عن (الفلاح، وعن خير العمل، وعن سائر المضامين الأخرى).. هي رموزٌ وإشاراتٌ إلى عُروتهم الوثقى "صلواتُ الله عليهم".. مُصطلح العروةُ الوثقى في الكتاب الكريم و في ثقافة آل مُحمّد اسمٌ من أسماء (عليّ).. مثلما الصراط المُستقيم (عليّ). ومثلما مُصطلح الكتاب (عليّ).. هذه أسماء حقيقيّة لسيّد الأوصياء.

قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه* هدىً للمُتّقين} أحاديث العترة تقول أنّ ذلك الكتاب هو عليٌّ.

الكتابُ اسمٌ لعليّ، والصراط المُستقيم اسمٌ لعليّ، والعروة الوثقى اسْمٌ لعليّ.. فمَن أراد أن يتمسّك بهم كما تمسّك أبونا آدم بالعروة الوثقى ونجا، فعليه أن يتمسّك بعلي.

■ العروة الوثقى في ثقافة آل عليّ لها دلالتان:

• الدلالة الأولى: عليّ

• والدلالة الثانية: ولاية علي.

صعدنا، نزلنا.. المَدار عليّ.

وهذا التفسير [تفسير الإمام العسكري] يجعلُ الأساس في فَهْم القرآن هو عليّ، وحجرُ الزاوية في بناءِ حقيقةِ الدين ولاية عليّ، وولاية عليّ هي من شؤونات عليّ. فالبداية من عليّ والنهاية إلى عليّ (ورَحِم الله امرئٍ عرف من أين وإلى أين) فهذه المضامين هي معنى هذا الحديث.

هذه الحقيقة هي التي يصدع بها ويسطعُ بها التفسير العسكري الشريف.. مِن هنا هذا التفسير الشريف أُلغي من ساحة الثقافة الشيعية.. ومن هنا صارت تفاسيرنا عوراء بل عمياء، ومِن هنا صارتْ ثقافتنا القرآنية في المؤسسة الدينية ثقافةً مُستدبرة؛ لأنّها لم تبني مفاهيمها على ما جاء في تفسير الإمام العسكري.

✤ وقفة عند كتاب آخر وهو [تفسير البرهان: ج1] للسيّد هاشم البحراني.

■ (عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبد الله في قولهِ تعالى: {أتجعل فيهم مَن يُفسد فيها ويسفك الدماء} قال: ما عِلْم الملائكة بقولهم: {أتجعلُ فيهم مَن يُفسد فيها ويسفك الدماء} لَولا أنّهم قد كانوا رأوا مَن يُفسد فيها ويسفكُ الدماء)

● قولهِ: {ويسفكُ الدماء} هنا يمرّ ذكر الحُسين "صلواتُ الله عليه"..فقد مرّت الإشارة إلى أنّهم يتحدّثون عن أقدس الدماء التي تُسفَكُ على الأرض، وهذا هو الشيءُ المنطقي.. فهم لا يتحدّثون عن أيّ دمٍ مع وجود الدم الأقدس. فنحن لسنا أمام قصّة أرضية.. نحن أمام قصّة التكوين، نحن أمام تكوين برنامج الخلافة، نحن أمام مرحلة من مراحل تكامل الخِلقة كي تستعد الأرض لتطبيق البرنامج الإلهي الذي يتجلّى في العصر المهدوي.

الخلافة على الأرض لله سُبحانه وتعالى ما تجلّت بنحوها الكامل إلى هذهِ اللّحظة، ولن تتجلّى إلّا في العصر المهدوي وما بعد العصر المهدوي من عصر الرجعةِ، والكرّةِ والأوبة.. هذه الرواية تنقلُ لنا صورةً دقيقةً جدّاً.

■ لقطة أخرى.. رواية عن إمامنا الرضا في [عيون أخبار الرضا] :(عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت للرضا: يابنَ رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدمُ وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلفَ الناس فيها فمِنهم مَن يروي أنّها الحنطة، ومنهم مَن يروي أنها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال "عليه السلام":

كلّ ذلك حقّ، قلتُ: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت، إنّ شجرة الجنّة تَحملُ أنواعاً، وكانتْ شجرةُ الحنطة وفيها عنب، وليستْ كشجر الدنيا وإنّ آدم لمّا أكرمه الله تعالى ذِكْره بإسجاد ملائكتهِ لهُ، وبإدخاله الجنّة قال في نفسه: هل خلق الله بشرا أفضل منّي؟ فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه، فناداه: ارفع رأسك يا آدم فانظرْ إلى ساقِ عَرشي فرفع آدمُ رأسهِ فنظرَ إلى ساقِ العَرْش فوجدَ عليه مكتوباً: لا إله إلا الله، مُحمّدٌ رسول الله عليٌّ بن أبي طالب أميرُ المؤمنين وزوجتهُ فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهْل الجنة، فقال آدم:

يا ربّ مَن هؤلاء؟ فقال: عزّ وجلّ يا آدم هؤلاءِ مِن ذُرّيتك وهُم خَيرٌ منكَ ومِن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتكَ ولا خلقتُ الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فإيّاك أن تنظرَ إليهم بعين الحَسَد فأُخرجك عن جواري، فنظرَ إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم،

فتسلّط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نُهي عنها، وتسلّط على حواء لِنظرها إلى فاطمة بعين الحسد، حتّى أكلتْ مِن الشَجَرة كما أكل آدم، فأخرجهُما اللهُ تعالى مِن جنّته، وأهبطهما مِن جوارهِ إلى الأرض..)

● هذه العناوين (شجرةُ الحنطة، شجرةُ العنب، شجرةُ الحسد) جاءت في الروايات لا على سبيل الحَصْر.. فهناك عناوين أخرى أيضاً، فعندنا إلى جانب (الحنطة، العنب، الحسد) عندنا (شجرة العلم) أيضاً كما مرّ.

نَحنُ لسنا أمام شجرةٍ كأشجار الدُنيا، نحنُ نتحدّث عن مرحلةٍ مِن مراحل التكوين، عن مرحلةٍ جامعةٍ لبرنامج تكويني واسع، وعن خلاصة تكوينية ظهرت في خلقة أبينا آدم وأمّنا حوّاء.. برنامج كبير، ومن هنا قلت أنّ قِصّة أبينا آدم لها وجهٌ تكويني، ووجهٌ رمزيٌّ فلسفيٌّ عميق.

■ قد يأتي هنا سؤال: من أنّ هذه الرواية تتحدّث في مرحلةِ ما بعد السجود، فهل أنّ أبانا آدم ما كان على علْمٍ لِماذا سجدت الملائكة له..؟!

كما بيّنتُ : هذه الروايات لا تتحدّث عن قِصّة تأريخية، فآدم قَبل سُجود الملائكة لهُ تجلّت لهُ هذهِ الحقيقة ولكن في طبقةٍ من الطبقات، في مُستوىً من المستويات، وحين سجدت الملائكة لآدم تجلّت هذهِ الحقائق لأبينا آدم حين عرضهم على الملائكة وأمر آدم أن يُنبئ الملائكة بأسمائهم.

وبقيت مراتبُ العَرض والتجلّي تترا على أبينا آدم، وما جاءَ مَذكوراً في الرواية هذهِ هو حديثٌ عن مَرتبة أخرى وعن طبقة أخرى من طبقات ما تجلّى لأبينا آدم. نحن لا نتحدّث عن واقعة تأريخية جرتْ على الأرض، فنزولُ أبينا آدم سيكونُ بعْد كلّ هذه التفاصيل..

هذه المعاني هي جزء من برنامج خِلقة أبينا آدم وتكوين العقل الآدمي والفِطرة الآدمية، وتكوين الإدراك الإنساني..لكنّها تُروى لنا بهذه الطريقة وبهذه الرمزية لتقريب المعاني..

(وقفة لتقريب الفكرة بمثالين).

ما ذكرته من أمثلة أردتُ فقط أن أقرّب الفِكرة التي قصدتُها مِن أنّ قصة أبينا آدم لها وجهان: وجهٌ تكويني، ووجهٌ رمزي فلسفي.. وهذا المعنى يتجلّى من خلال الروايات، والكلمات الشريفة.

● قول الرواية: (فنظرَ إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم) هذهِ طبقةً مِن طبقات تكوين النفس البشرية.. وحين نظر إليهم بعين الحسد تسلّط عليه الشيطان.. فهو الذي فتح الأبواب للشيطان.

■ قد يقول قائل: هناك شجرة أكل منها..؟!

الجواب: نعم هناك شجرة أكل منها.. ولذلك أحد معاني الوضوء أنّنا نُوضّىء هذه الأعضاء لأنّها استُعملتْ في هذا الأمر (في عملية الأكل والسعي إلى الشجرة) فهناك شجرة أكل منها، ولكنّه ما اشتهاها ورغب فيها إلّا بعد أن تسلّط عليه إبليس، وما تسلّط عليه إبليس إلّا بعْد أن عاش حالة الحسد في مواجهة محمّد وآل محمّد.. وحالة الحسد تأتي حينما يتصوّر الإنسان أنّه يستحقّ ما يملكه ذلك المحسود.. حين يتصوّر الإنسان ذلك فإنّه يكون قد وضع نفسهُ في غير محلّها.. ورحم الله امرئً عرفَ قَدْر نفْسه.. إذا عرفَ المرءُ قدْرَ نفْسه فإنَّه لن يضعها في غير موضعها، وحينئذٍ سيتخلّص من الحسد، سيكون الحسدُ بعيداً عنه.. هذه قصّة الإنسان.

قصّة أبينا آدم قبل الأرض ليست قصّة شخصية .. هذا هو تكوين البرنامج في مُختلف الأبعاد:

- هناك تكوينٌ للنفس البشرية وطبقاتها
- هناك تكوينٌ للعقل البشري وطبقاته.
- هناك تكوينٌ للعواطف و الأمزجة ؟
- هناك تكوينٌ يسبقُ ذلك للخارطة التي سيتحرك فيها الإنسان.. (إنّا هديناه النجدين) في الاتّجاهين: اتّجاه الهدى، واتّجاه الضلال.

● على سبيل المثال: الخمر.. يشربه الإنسان حين يتسلّط عليه الشيطان، والشيطان يتسلّط عليه حِين يفتح له الإنسان نوافذه وأبوابه ، والإنسان يفعل ذلك حين يُعْرض بوجهه عن إمام زمانه..! فحين يُعرض الإنسان بوجهه عن إمام زمانه فسيتّجه إلى خَمرٍ أو إلى فاحشة أو إلى ظُلم أو إلى جريمةٍ... أو أو أو.. فحين حسد أبونا آدم محمّداً وآل محمّد فإنّه أعرضَ عنهم.. لأنّه رأى نفسه أنّه يستحقّ منزلةً كمنزلتهم، ولذلك حسدهم.

لو أنّ شخصاً رأى نفسه أنّه لا يستحقّ منزلة (س) أو (ص) مِن الناس فإنّه لن يَحسدهم.

نحنُ نحسد الآخرين حين نتصوّر أنّنا نستحقّ منزلتهم.. فحين عاش أبونا آدم هذهِ الحالة فإنّه قد أعرض عن أئمته.. فحين أعرضَ عن أئمته فقد فتح الأبواب والنوافذ لإبليس.. فتسلّط إبليس عليهِ فقادهُ فأكل مِن الشجرة، وهذهِ القِصّة هي قصّتنا حين يتسلّط علينا إبليس في أي جريمة من الجرائم.

علماً أنّ النوافذ التي يفتحها الإنسان لإبليس - بعد أن يُعرض عن إمام زمانه - هذهِ النوافذ تتناسب ومزاج ذلك الإنسان، فمِزاج البعض في المعصية عند البعض في الجريمة والقَتل - كما في داعش - ومِزاجُ البعض في الزنا واللّواط والخمر، ومزاجُ البعض في الظُلم وإيذاء الآخرين، ومزاج آخرين في السرقة وجمع الأموال بالباطل.. أمزجةُ الناس في المَعصية مُختلفة، كما أنّ أمزجةَ الناس في الطاعة مُختلفة.. وما نَقرؤوه مِن تفاصيل قصّة آدم هي رُموز لِما جرى علينا ويجري وسيجري في قادم الأيّام.

● قول الرواية (وأهبطهما مِن جِوارهِ إلى الأرْض) هذهِ طبقة مَعنوية.. اللهُ سُبحانه وتعالى ليس لهُ مِن جوارٍ حِسّي، ولكن في طبقات التكوين هناك طبقةٌ يكونُ فيضُ القُرب نازلاً عليها مُحيطاً بها، فتكون أقرب مِن غيرها.. كما هو الحالُ في بقاع الأرض.. فهناك أرضٌ هي أقرب إلى الله من أرضٍ أخرى، والأرض هي الأرض والتراب هو التراب.

تراب كربلاء السجود عليه يَخرق الحُجب السبع (كما ورد في الروايات).. خُصوصيّة هذا التراب جاءتْ لأنّه يُنسَب إلى الحُسين.. وكُلّ الحديث هُنا عن حُسين وآل حسين.

■ رواية أخرى أيضاً من [تفسير البرهان: ج1] عن الإمام الصادق:

(إنّ الله تباركَ وتعالى عَرَض على آدم في المِيثاق ذُرّيتَهُ، فمرَّ بِهِ النبيُّ وهو مُتّكِءٌ على عَليّ، وفاطمةَ تتلوهما، والحَسَن والحسين يتلوانِ فاطمة، فقال الله: يا آدم، إيّاك أن تنظرَ عليهم بحسد، أُهْبِطكَ مِن جواري، فَلَمَّا أسكَنَهُ اللهُ الجنّة مَثّلَ لهُ النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، فنظر إليهم بحسد، ثُمَّ عُرِضتْ عليهِ الولايةُ فأنكرها، فرَمَتهُ الجنّةُ بأوراقها، فلمّا تابَ إلى اللهِ مِن حَسَدهِ وأقرَّ بالولايةِ ودعا بحقّ الخَمْسة: مُحمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين "صلواتُ الله عليهم" غفر الله له وذلك قوله: {فتلقّى آدم مِن ربّهِ كلماتٍ}

هذا فصلٌ آخر من فصول برنامج التكوين.. والحديُث هنا خارج الأرض، الحديثُ في عالم المِيثاق ضِمن برنامج الخلافة وضِمن خارطة التكوين.

● قول الرواية (ثُمَّ عُرِضتْ عليهِ الولايةُ فأنكرها) إنّما أنكر الولاية بعد أن نظرَ إليهم بِحَسَد، وما نظرَ إليهم بِحسد إلّا حين أن وجد لنفسه منزلةً يستحقّ أن يُوصف بأوصافهم..!

✤ وقفة عند [تفسير القمّي]

■ الحديث في أجواء قصّة أبينا آدم وأمّنا حوّاء.. قال الصادق "عليه السلام": (فأوّل مَن قاس إبليس واستكبر والاستكبار هو أوّل معصيةٍ عُصيَ اللهُ بها، قال: فقال إبليس: يا ربّ اعْفِني مِن السجود لآدم، وأنا أعبُدكَ عبادةً لم يعبدكَ بها مَلَكٌ مُقرّب ولا نبيٌّ مُرسل. قال الله تبارك وتعالى: لا حاجةَ لي إلى عبادتك، إنَّما أُريدُ أن أُعبَد مِن حيثُ أُريد لا مِن حيثُ تُريد، فأبى أن يسجد، فقال الله تعالى: {فأخرج منها فإنّك رجيم وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين} فقال إبليس: يا ربّ كيف وأنتَ العَدْل الذي لا تجور، فثواب عملي بطُل؟ قال: لا. ولكن اسأل مِن أمْر الدُنيا ما شئتْ ثوابا لعملك فأعطيتك فأول ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال الله: قد أعطيتُك، قَال: سَلّطني عَلى وُلْد آدم، قال: قد سَلّطتك، قال: أجرني منهم مَجرى الدم في العُروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يُولد لهم ولد إلّا ويلد لي اثنان، وأراهم ولا يَروني وأتصوّر لهم في كلّ صُورةٍ شئتْ، فقال: قد أعطيتك، قال: يا ربّ زدني، قال: قد جَعلتُ لكَ ولذُرّيّتكَ في صُدورهم أوطاناً، قال: ربّ حسبي، فقال إبليس عند ذلك: {فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلّا عبادكَ منهم المُخلَصين ثُمّ لآتينَّهم مِن بين أيديهم ومِن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدُ أكثرهم شاكرين})

● قول الرواية : (فأوّل مَن قاس إبليس واستكبر) وكأن القياس والاستكبار يأتيان معاً.. وهذا يُمكن أن نتلمّسه في علماء الدين عبر التأريخ : (القياس والاستكبار) (إنّ للعلم طُغياناً كطغيان المال، وإنّ مِن العلماء جَبابرة..) كما يقول "صلّى الله عليه وآله" يعني هناك علماء طواغيت.

● قول الله تعالى لإبليس (إنَّما أُريدُ أن أُعبَد مِن حيثُ أُريد لا مِن حيثُ تُريد، فأبى أن يسجد) هذهِ مُشكلةُ المُخالفين معَ آل محمّد.. يُريدون أن يتقرّبوا إلى الله مِن حيثُ هم يُريدون.. النبيّ جعل لهم علياً الباب الذي منه يدخلون إلى الله.. هم ذهبوا فصنعوا لهم أبواب..!

المُشكلة هي هي عند علماء الشيعة.. النبيّ اشترط عليهم في بيعة الغَدير أن يأخذوا تَفسير القُرآن مِن عليّ، فذهبوا إلى غَيره، وهذه تفاسيرهم موجودة في المكتبات تشهدُ بذلك.. فلا علاقة فيها بعليّ وآل عليّ..!

■ ورواية عن زرارة عن إمامنا الصادق "عليه السلام" جاء فيها:

(لمَّا أعْطى اللهُ تباركَ وتَعالى إبليسَ ما أعطاهُ مِن القُوّة، قال آدم: يا ربّ سَلَّطتهُ على وُلْدي وأَجريتَهُ فيهم مَجرى الدمِ في العُروق وأعطيتَهُ ما أعطيتَهُ، فما لي ولولدي؟ فقال: لكَ ولولدك السيّئة بواحدة والحسنةُ بعشرة أمثالها، قال: يا ربّ زدني، قال التوبةُ مبسوطةٌ إلى حِين يبلغُ النَفَسُ الحُلقوم، فقال: يا ربّ زدني قال: اغفِرُ ولا أبالي، قال: حسبي. قال: قلتُ لهُ: جُعلتُ فِداك بماذا استوجبَ إبليسُ

مِن الله أن أعطاهُ ما أعطاه؟ فقال: بشيء كان منه شَكَرهُ الله عليه، قلت وما كان منه جعلتُ فداك؟ قال: ركعتان ركعَهُما في السماء في أربعة آلاف سنة).